

## التحرير والتنوير

والالتقام : البلع . والحوت الذي التقمه : حوت عظيم يبتلع الأشياء ولا يعض بأسنانه ويقال : إنه الحوت الذي يسمى ( بالين ) بالإفريقية .

والمليم : اسم فاعل من ألام إذا فعل ما يلومه عليه الناس لأنه جعلهم لائمين فهم ألامهم على نفسه .

وكان غرقه في البحر المسمى بحر الروم وهو الذي نسميه البحر البيض المتوسط ولم يكن ينهر دجلة كما غلط فيه بعض المفسرين .

وكان من المسبحين بقوله : ( لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ) كما في سورة الأنبياء فأناه ا□ بسبب تسبيحه وتوبته فقفده الحوت من بطنه إلى البر بعد أن مكث في جوف الحوت ثلاث ليال وقيل : يوما وليلة وقيل : بضع ساعات .

ومعنى قوله ( إلى يوم يبعثون ) التأبيد بأن يميت ا□ الحوت حين ابتلاعه ويبقيهما في قعر البحر أو بأن يختطف الحوت في حجر في البحر أو نحوه فلا يطفو على الماء حتى يبعث يونس يوم القيامة من قعر البحر .

( فنبتناه بالعراء وهو سقيم [ 145 ] وأنبتنا عليه شجرة من يقطين [ 146 ] ) E A الفاء فصيحة لأنها تفصح عن كلام مقدر دل عليه قوله ( فلولا أنه كان من المسبحين للبت في بطنه ) . فالتقدير : يسبح ربه في بطن الحوت أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب ا□ له ونجاه كما في سورة الأنبياء . والمعنى : فلفظه الحوت وقاءه وحمله الموج إلى الشاطئ .

والنبد : الإلقاء وأسند نبذه إلى ا□ هو الذي سخر الحوت لقفده من بطنه إلى الشاطئ لا شجر فيه .

والعراء : الأرض التي لا شجر فيها ولا ما يغطيها .

وكان يونس قد خرج من بطن الحوت سقيما لأن أمعاء الحوت أضرت بجلده بحركتها حوله فإنه كان قد نزع ثيابه عندما أريد رميه في البحر ليخف للسباحة ولعل ا□ أصاب الحوت بشبه الإغماء فتعطلت حركة هضمه تعطيلًا ما فبقي كالخدر لئلا تضر أمعاؤه لحم يونس .

وأنبت ا□ شجرة من يقطين لتظ□ وتستره . واليقطين : الدباء وهي كثيرة الورق تتسلق أغصانها في الشيء المرتفع فالظاهر أن أغصان اليقطينة تسلقت على جسد يونس فكسته وأطلته . واختير له اليقطين ليمكن له أن يقتات من غلته فيصلح جسده لطفًا من ربه به بعد أن أجرى له حادثًا لتأديبه شأن الرب مع عبده أن يعقب الشدة باليسر .

وهذا حدث لم يعهد مثليه من الرسل ولأجله قال النبي A " ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى " يريد رسول الله A نفسه إذ لا يحتمل أن يكون أراد أحدا آخر إذ لا يخطر بالبال أن يقوله أحد غير الأنبياء .

والمعنى نفي الأخيرة في وصف النبوة أي لا يظن أحد أن فعلة يونس تسلب عنه النبوة .  
فلذلك مثل قوله A " لا تفضلوا بين الأنبياء " أي في أصل النبوة لا في درجاتها فقد قال الله تعالى ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ) وقال ( ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ) .

واعلم أن الغرض من ذكر يونس هنا تسلية النبي A فيما يلقاه من ثقل الرسالة بأن ذلك قد أثقل الرسل من قبله فظهرت مرتبة النبي A في صبره على ذلك وعدم تدمره وإعلام جميع الناس بأنه مأمور من الله تعالى بمداومة الدعوة للدين لأن المشركين كانوا يلومونه على إلحاحه عليهم ودعوته إياهم في مختلف الأزمان والأحوال ويقولون : لا تغشنا في مجالسنا فمن جاءك منا فاسمعه كما قال عبد الله بن أبي قال تعالى ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ) فلذكر قصة يونس أثر من موعظة التحذير من الوقوع فيما وقع فيه من غضب ربه ألا ترى إلى قوله تعالى ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ) .  
وليعلم الناس أن الله إذا اصطفى أحدا للرسالة لا يرض له في الفتور عنها ولا ينسخ أمره بذلك لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته .

( وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون [ 147 ] فآمنوا فمتعنناهم إلى حين [ 148 ] ) ظاهر ترتيب ذكر الإرسال بعد الإنجاء من الحوت أنه إعادة لإرساله